الهجوم على

الحجاب لماذا

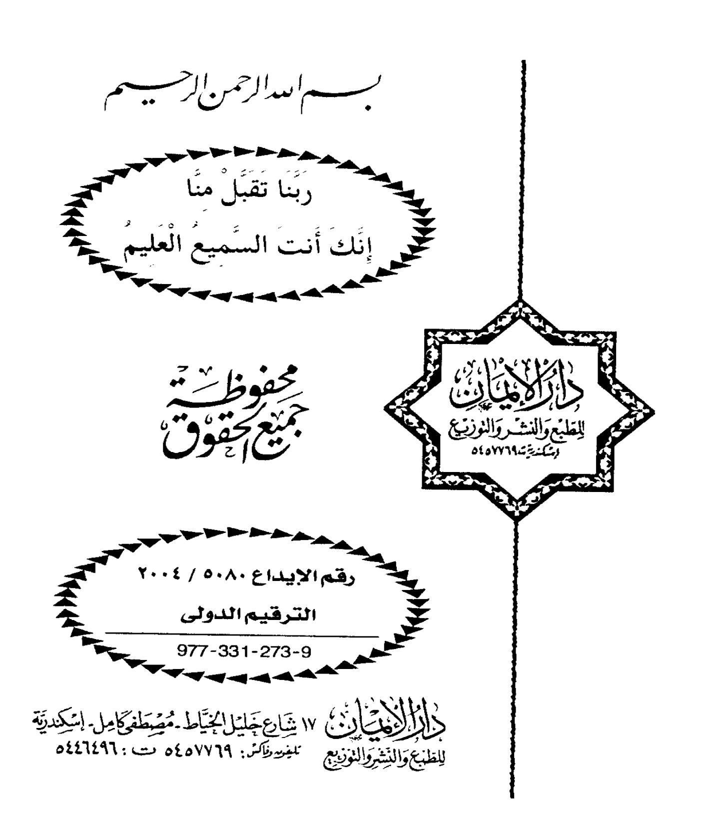
فضيلة الشيخ

دكتور سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين






بسم الله الرحمن الرحيم
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩
جميع الحقوق محفوظة
رقم الإيداع ٥٠٨٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-273-9
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٤٤٦٤٩٦



المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

ثم أما بعد :

فإن العداء السافر للإسلام ولشعائره ولكل من يتمسك بها أمر لا ينبغى أن يخفى على أحد وهذا يحدث هنا وهناك بل هو يحدث اليوم كما حدث بالأمس وما يورد الآن بفرنسا من منع الحجاب والتضييق على المحجبات خير شاهد على ذلك، ومن عجيب الأمر أنه يتوافق ويتزامن مع هذه الهجمة المسعورة على هذا الستر والزى فى بلادنا وهذا بدوره يعكس حقيقة الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر وبين الفضيلة والرذيلة معركة بدأت ولم تنته بعد والجهاد حاضر فى الأمة لن يبطله جور جائر ولا عدل عادل حتى يقاتل آخر رجل فى الأمة المسيح الدجال.

وقد بدأ الصراع بين أبينا آدم من جهة وبين إبليس من جهة أخرى ، ثم بين بنى آدم وبنى إبليس، والشيطان لا ينام ولو نام لاسترحنا إلا أنه يعمل ليل نهار ومن أجل إنقاذ ما قطعه على نفسه وقال : ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء : ١١٨، ١١٩] وقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢] وقال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] وهو فى ذلك يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فافترق الناس إلى أولياء للرحمن وأولياء للشيطان ، وأولياؤه لا ينامون بل يصلون الليل بالنهار وتضيق صدورهم بكل طاعة ، وتشرئب أعناقهم لكل معصية ، يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وأحدهم إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد يقول تعالى : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ٢] ويقول سبحانه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] ويقول عز من قائل : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] وقال

سبحانه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] ويقول أيضًا: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] ، فعداوتهم ظاهرة وحربهم سافرة ولذلك حذرنا جل وعلا فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] .

وهذه المعركة يستخدم فيها أعداء الإسلام والمسلمين كل وسائل الغزو سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية حتى يتباعد المسلمون عن دينهم ويكفرون بخالق الأرض والسماوات وإذا لم تفلح صورة من صور الغزو يلتجئون للثانية ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

وتحت شعار الحرية الشخصية نشروا كل كفر وفجور ومهدوا للفحش والتفحش فى ديار المسلمين، وفرنسا كما يزعمون هى أم المبادئ التحررية فى العالم فلماذا ضاقت صدورهم بالحجاب هناك ؟، ولماذا لم يطبقوا شعار الحرية الشخصية على المحجبات كما طبقوه على كل صور التحلل الخُلقى التى فاح عطنها ونتنها ؟، ولا إجابة على ذلك إلا أنهم يعلمون أنه شعار تقف العقيدة الإسلامية خلفه وإنه حكم شرعى له ما بعده من صيانة

وعفاف وطهر للمرأة بل عصمة للمجتمع من الافتتان بها ، وحتى تستطيع إذا التزمت به مع سائر الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة فى النظام الإسلامى أن تؤدى دورها فى صناعة الأجيال ، وبالتالى المساهمة فى نصر الإسلام والتمكين له، وللجاهلية صور مكرورة وفيها تبرج الجاهلية يقول تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾

[الأحزاب : ٣٣].

وقيل في صفة التبرج: أن المرأة كانت تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال ، وأنها كانت تظهر خصلة من خصلات شعرها أو تسير مختلطة بالرجال ، فنهى الله عن ذلك.

ولاشك أن الجاهلية المعاصرة لا تقل عن الجاهلية الأولى حين يسمح للنساء السير بملابس البحر بدعوى الحرية الشخصية ثم يمنعون الحجاب الشرعى. وقد انتقلت فرنسا ، ومن سار على طريقها وحذا حذوها من جاهلية إلى جاهلية أخرى، ومن ظلم إلى ظلم ، وقد نص القانون الفرنسى بعد الثورة الفرنسية على أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة حتى عدل عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على المرأة المتزوجة، وإهانة المرأة فى الجاهلية عند العرب كانت لا تقل عن

الجاهلية الفرنسية ، فقد كانوا يحرمونها من الميراث وإذا مات زوجها أسرع أحد الورثة ، وألقى ثوبه عليها حتى يحوزها ويفوز بها ، وغير ذلك كثير من صور النكاح الهمجى، وعاداتهم فى الطلاق والحداد ووأد البنات، ثم كانت الجاهلية المعاصرة بما فيها من عرى وخلاعة ومجون وتحلل خلقى ، وكأنه من مستلزمات التطور ، وكأن تقدم الأمم وتطور الشعوب لا يتم إلا بذلك، وانخدع بهذا الزيف بعض من لا أخلاق له من هذه الأمة ، فرأى أن التحضر والتقدم لا يتم إلا بأن يأخذ كل ما عليه الغرب ، حتى هذه النجاسات الموجودة فى أمعائهم ، وأنه لابد من التغريب حتى نلحق بركب الحضارة ، فلم يفرقوا بين العلوم النافعة التى تأخذ من كل مَنْ أفلح وبين هذا الدمار والسم الزعاف.

ورحل الإستعمار وترك فكره يحكم بل وربى أيضًا من يحكمون منهجه ويدينون بالولاء له فى ديار المسلمين، وكان من بين هؤلاء (قاسم أمين) الذى أطلقوا عليه اسم محرر المرأة والذى تربى فى فرنسا وعلى موائدها فألف «تحرير المرأة» سنة ١٨٩٩ ، و «المرأة الجديدة » سنة ١٩٠٠ ، وعند موته أقام الإنجليز له حفل تأبين سنة ١٩٠٨ ، وأشادوا فيه بدعوته إلى

السفور، فقام مصطفى كامل بإقامة احتفال كبير للدعوى إلى الحجاب ، ولإبراز أصابع الإنجليز فى فتنة السفور .

يقول مصطفي كامل في جريدة *اللواء* : هذا وقد انتشر خبر كتاب تحرير المرأة فى جهات الهند، واهتم الإنجليز ببث قضاياه وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً لما رأوا فى العمل به فائدة لهم .

بل من عجيب الأمر أن هدى شعراوى وهى أول امرأة أسست الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣ ، وأول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوربا كان المطلب الأول الذى تقدمت به بعد رجوعها لرئيس الوزراء هو رفع الحجاب عن المرأة ، ولما وصلت إلى هنا نزعت الحجاب أمام الجماهير هى وسيزا نبراوى سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما.

تزامن غريب وعلاقات مشبوهة ، والباطل صوره مكرورة يحدث هنا كما يحدث هناك .



أولياء الشيطان

والشيطان أولياؤه قد ركزوا على كل قطاع من قطاعات الحياة، وعلى كل فئة من فئات الناس للإفساد، ونالت المرأة من التركيز النصيب الأوفى حتى قال بعض الماسون : تأكدوا تماما أننا لسنا منتصرين على الدين إلا يوم تشاركنا المرأة فيه فتمشى فى صفوفنا، ويقول الرئيس بورقيبة لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا ونخلصها من قيود الدين، وفى سنة ١٩٠٩ عقد مؤتمر تبشيرى فى القاهرة، وكان أهم قراراته إنه لا سبيل لنا إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح ، وأن عدد المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل شاطر مجد للوصول إليهن يجب أن يكون بذله أوسع مما بذل إلى الآن .

وقالوا لا نقترح إيجاد منظمات جديدة ولكن نطالب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل .

وقامت جمعيات نساءية تحمل شعار الماسونية ، وتسير على ركبها تارة باسم المساواة البريئة أو التقدم وركب الحضارة ،

وباسم التقدم ترى ملكات جمال العالم ، وباسم الفن خرجت النساء للتمثيل والغناء والرقص، وباسم السياسة عينت المرأة رئيسة ووزيرة، فكانت فتنة نعوذ بالله منها. يقول النبى ﷺ : «**ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء** » رواه مسلم ، وقال ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر ماذا تفعلون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت النساء**» .

ولا شك أن بلية هذه الأمة الآن بالنساء لا حد لها ، وقد تابعنا فى ذلك كل ملحد كفار. يقول النبى ﷺ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** . قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال: «**فمن أى الناس غير هؤلاء**» ، وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات ربى وسلامه عليه ، وظهرت الكاسيات العاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، ويقول النبى ﷺ : « **لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر**» [رواه مسلم] .

وقد نقل صاحب كتاب تحفة العروس كلام المناوى فى فيض القدير فى شرح هذا الحديث ما ملخصه : « أى لولا

خيانة حواء لآدم فى إغوائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة لن تخن أنثى زوجها ، لأنها أم النساء ، فأشبهتها ، ولولا أنها سنت هذه السنة لما تسلكها أنثى مع زوجها ، فلما خانت سرت فى بناتها الخيانة ، فقلما تسلم امرأة من خيانة زوجها بفعل أو قول ، وليس المراد الزنا حاشا وكلا لكن مالت إلى شهوة النفس إلى أكل الشجرة ، وزينت ذلك لآدم مطاوعة لعدوه إبليس ، عد ذلك خيانة له وأما من بعدها من النساء ، فخيانة كل واحدة منهن بحسبها .

وفى هذا الحديث إشارة إلى تسلية الرجال لما يقع لهم مع نسائهم ، كما وقع من أمهن الكبرى ، وإن ذلك من طبيعتهن والعرق دساس ، فلا يفرط فى لوم من فرط منها قصداً أو نادراً.



التمسك بالدين

ولا ينبغى للنساء الاسترسال على هذا النوع بل بضبطهن أنفسهن ، ويجاهدن هواهن ، ليكون لهن الثواب عند الله تعالى والمكانة السامية عند الرجل. وننقل أيضًا كلام العلامة صديق حسن خان فى كتابه حسن الأسوة فى معنى فتنة النساء ووجه كونهن أضر لأن الطباع تميل إليهن كثيرًا وتقع فى الحرام لأصلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن وأقل ذلك أن ترغبه فى الدنيا وإفسادها أضر. أ . هـ.

وقد تأججت نار الفتنة باستجابة المرأة لهذه الدعوات الفاجرة، وخروجها متبرجة ، واختلاطها بالرجال ، وقد حذر الشرع من التقليد الأعمى ، ومن السير على غير هدى وبصيرة فلا يكونن أحدكم إمّعه إن أحسن الناس أحسنتم ، وإن أساءوا أسئتم، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إسائتهم.

وكان ابن مسعود ﷺ يقول : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن أحسن أحسن، وإن كفر كفر » .

وإذا كانت الغربة قد استحكمت والفتنة قد تمكنت، وصور

الكيد والحرب قد فاقت كل حد وتخيل فإن هذا كله لم يمنع الأمة من أن تستفيق من نومها وتستيقظ من سباتها لتعاود الرجوع إلى إسلامها ودينها مرة أخرى ، فكانت هذه الصحوة وهذه الاستجابة التى نستبشر بها ، ومعها كل خير بإذن الله فلكل مقدمة نتيجة ، وأول السيل قطرة ، ومسيرة الآف الأميال تبدأ بخطوة واحدة.

هذه الاستجابة لأمر الله قد غيرت حسابات كثيرة ، وقلبت موازين عديدة عند أعداء الإسلام ، وأسقط فى أيديهم فقد كانوا يظنون أن الأمة الإسلامية قد انتهت إلى غير رجعة، ولكن الله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون ، فقام الناس رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً يستنون بسنة رسول الله ﷺ ويحرصون على اتباع شرع الله، ولاشك إن هذه الاستجابة تقلق الشيطان وأوليائه وخصوصًا وهم يعلمون طبيعة هذه الدعوة بل وقيمة من يستقيم عليها ، فقد كان بسمارك الألمانى يقول : أعطونى عشرة آلاف مسلم وأفتح لكم بهم العالم ، وكان وزير الخارجية البريطانى فى مجلس العموم يقول : إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا فى بلاد الإسلام هذا المصحف وهذه الكعبة .

دور المرأة في صلاح المجتمع

والمرأة بصفة خاصة دورها كبير فى هذه الصحوة ، وهذه الاستجابة ، فبإصلاحها تنصلح الأمة ، وبفسادها يصيب الأمة غضب وشر وفساد، فعليها بطاعة الله والحرص على تقواه والاستجابة لأمر الرحمن والتباعد عن خطوات الشيطان وأن تلزم المهمة والدور الذى هيأها ربنا جل وعلا من أجله :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول النبى ﷺ : «**والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** ».

وفي ذلك يقول الأخ الفاضل محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ :

«وليست المرأة التى نريد أن نعيدها إلى الحجاب هى المرأة الجاهلية المتخلفة فإن الدعوة إلى فريضة الحجاب والعودة إليه لابد أن تواكبها دعوة القائمين بأمر المرأة إلى أن يؤدوا لها فريضة تحرير عقلها حجب التضليل والجهل والتخلف التى أباها ديننا الحنيف... إلى أن قال : من هنا كان لابد من هذه الوقفة مع المرأة ، كيف سقطت صديقة فى الجاهلية الأولى والآخرة، وكيف أعزها الإسلام ، وكرمها وحدد لها دورها فى الحياة، ما حقوقها؟ وما واجباتها ؟ ثم كيف تأثرت بهذا التكريم فمارست

دورها العظيم ، وخلقت لنا تاريخًا مجيداً حافلاً بسيرتها العطرة، كأمة وزوجة وابنة وكمؤمنة مجاهدة صابرة، وكعاملة فقيهة محدثة ، وكعابدة خاشعة قانتة حتى بان للجميع ما الذى كان يخفيه الحجاب ، والذى كان يدور خلف الخدور؟ إنها الثمرات المباركة التى جنتها الأمة من وراء الحجاب ، إنه الشرف العزيز الذى صانه الحجاب ، وهن خريجات مدرسة الحجاب قبل أن تعرف الدنيا مدرسة وقبل أن يطرق سمعها حقوق المرأة وتكريمها أ . هـ .

ولا يخفى على كل من له معرفة ما عمت به البلوى فى كثير من النساء وسفورهن، وعدم تحجبهن من الرجال وإبداء الكثير من زينتهن التى حرم الله عليهن إبدائها، ولاشك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصى الظاهرة، ومن أعظم حلول العقبات ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد، فالواجب على الرجال أن يمنعوا النساء مما حرم الله عليهن وإلزامهن التحجب والتستر حذراً من غضب الله وعظيم عقوبته **«والرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته»**، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**» رواه أحمد والترمذى.

مواصفات الحجاب الشرعي

والحجاب الشرعى الذى ترتديه المرأة المسلمة ، وتحرص عليه تنفيذًا لأوامر ربها ، له مواصفات يجب أن تتوافر فيه ، سواء تواجدت المرأة هنا فى مصر أو هناك فى فرنسا أو غيرها، وهذه المواصفات هى :

[١] أن يكون الحجاب ساتر البدن لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

[٢] أن يكون كثيفًا غير رقيق لأن الغرض من الحجاب الستر فإذا لم يكن ساترًا لا يسمى حجابًا لأنه لا يمنع الرؤية ، ولا يحجب النظر .

[٣] ألا يكون زينة في نفسه يلفت الأنظار لقوله تعالى : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فإذا كان فى ذاته زينة ، فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى حجابًا لأن الحجاب هو الذى يمنع ظهور الزينة للأجانب .

[٤] أن يكون فضفاضًا غير ضيق ولا يشف عن البدن ، ولا يجسم العورة ، ولا يظهر أماكن الفتنة فى الجسم ، وفى

صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أراهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » ، وفى رواية أخرى « **وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**» رواه مسلم .

[٥] ألا يشبه لباس الكافرات لقوله ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » .

[٦] ألا يشبه زى الرجال أو مما اختص به الرجال لحديث أبى هريرة « **لعن النبى ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل** » . وفى الحديث أيضًا « **لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** » .

[٧] ألا يكون الثوب معطراً ، وقد أخرج أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن تفلات** » ، أى: بلا طيب ، فإذا كانت المرأة متطيبة ، فلا يحرم منعها كما جاء فى حديث مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت:

قال لنا رسول الله ﷺ : « **إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً** » ، وأخرج الشيخان ، وأبو داود عن عائشة قالت : « **لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعه نساء بنى إسرائيل**» .

[٨] ألا يكون ثوب شهرة لقول رسول الله ﷺ : « **من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً** » أخرجه أبو داود وابن ماجة ، وإسناده حسن كما قال المنذرى .

قال الشوكاني: والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة ، وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه (قاله ابن رسلان) . وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار فى الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها ، الموافق لملبوس الناس والمخالف ، لأن التحريم يدور مع الاشتهار ، والمعتبر القصد ، وإن لم يطابق الواقع . ويقول ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه لبس ثوب شهرة فى الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره ، فيلبسه الله يوم القيامة ثوباً تشتهر به مذلته ، واحتقاره بدلهم عقوبة به .

الجزاء من جنس العمل

والعقوبة من جنس العمل ، هذا وإذا كانت فرنسا قد منعت الحجاب فى المدارس والجامعات خشية الغزو الفكرى ، ألا يدعو ذلك للتعجب من حالة هؤلاء الذين يخشون على باطلهم من الزوال إذا دخلوا معركة مع الحجاب .

ونعود لنقول لا عجب منهم ، بالأمس القريب تنادوا ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص : ٦] وصدق الله إذ يقول فى شأن هؤلاء وما هم عليه من الباطل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

والواجب على الأمة المسلمة أن لا يسمحوا بالكفر ولا الرزيلة فى ديار المسلمين ، وأن يحتاطوا لجميع صور الحرب والغزو التى يمارسها أعداء الإسلام والمسلمين ، ومن أقبحها صورة الغزو الفكرى ، وأن يعتصموا بحبل ربهم ، ويستمسكوا بدينهم ، ويدوروا مع إسلامهم حيث دار ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أنفُسهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وفي تفسير هذه الآية قال الإمام الشافعي: إجماع الصحابة فمن بعدهم على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ما كان له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان ، بل الواجب المسارعة لامتثال أمر الله دون تراخي أو تكاسل فقد روى ابن أبي حاتم من حديث صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها : إن لنساء قريش أفْضُل وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقًا لكتاب الله وإيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلوا الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذى قرابة فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن معتجرات كأن على رؤسهن الغربان (والإعتجار: هو لف الخمار على الرأس مع

تغطية الوجه) والمؤمنة التى تؤمن بالله وتخاف سوء الحساب تستشعرالإثم والذنب فى التفريط فى الحجاب الشرعى لدلالة الكتاب والسنة على ذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣١] .

وفسر ابن مسعود ﴿ **إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ بالثياب ، ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ ، قال لا خلخال ولا شنف ولا قرط ولا قلادة.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب الأشربة في أثناء تعريف الخمر: ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها وقال القزاز: كانوا فى الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها ، وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار، ويقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

روي ابن جرير الطبري في تفسيره عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلمانى عن قول الله تعالى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى .

وذكر ابن كثير فى تفسيره (جـ (٣) ص٥١٨) قال على

بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله النساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة، وقال ابن حزم في المحلى : والجلباب التي خاطبنا بها رسول الله ﷺ هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه، وصححه القرطبي في تفسيره ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه حجاب المرأة ولباسها في الصلاة، وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن لا حجاب، يرى الرجال وجهها ويديها ، وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين ، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز إظهاره، ثم لما أنزل الله عز وجل آية الحجاب بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ حجب النساء عن الرجال أ . هـ بتصرف.

ويقول أيضًا الجلباب هو الملاءة، وهو الذى يسميه ابن مسعود وغيره الرداء ، وتسمية العامة الإزار وهو الإزار الكبير الذى يغطى رأسها وسائر بدنها، وقد حكى عبيدة وغيره : إنها تدنيه من فوق رأسها فلا تظهر إلا يمينها وجنسها من النساء ينتقبن. فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن، وهو ستر الوجه، أو ستر الوجه بالنقاب كان حينئذ الوجه واليدان من الزينة

التى أمرت ألا تظهرها للأجانب فما يبقى يحل للأجانب النظر إلا للثياب الظاهرة ، ثم قال وعكس ذلك الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدى ذلك للأجانب بخلاف ما كان قبل النسخ بل لا تبدى إلا الثياب. ونقل الصابونى فى كتابه روائع البيان طائفة من أقوال المفسرين فى معنى قوله تعالى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ .

فقال : قال ابن الجوزى فى قوله تعالى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ أن يغطين رؤسهن ووجوههن ليعلم أنهن حرائر والمراد بالجلابيب الأردية قاله ابن قتيبة ، وقال ابن حيان فى البحر المحيط: وقوله تعالى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ شامل لجميع أجسادهن أو المراد بقوله عليهن أى وجوههن لأن الذى كان يبدو منهن فى الجاهلية هو الوجه.

وقال ابن مسعود : والجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى فيه ما ترسله على صدرها، أو معنى الآية أى: يغطين وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعى.

وعن السدي : تغطى إحدى عينيها وجبهتها، والشق الآخر إلا العين.

وقال ابو بكر الرازي : وفى هذه الآية ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب، ثم قال الصابونى هذا وأمثاله وكثير من أقوال مشاهير المفسرين يدل دلالة واضحة على وجوب ستر الوجه وعدم كشفه أمام الأجانب اللهم إلا إذا كان الرجل خاطباً أو كانت المرأة فى حالة إحرام بالحج. ويقول تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٠]

والقاعدة : هى المرأة الكبيرة المسنة يجوز لها أن تضع جلبابها، وتكتفى بالدرع والخمار بشرط ألا تكون مزينة، وإذا استترت بجلباب فهو خير لها. ففرق الشرع بين الشابة التى تشتهى ، وبين العجوز المسنة التى ليست كذلك وبين المتزينة وغير المتزينة .

روى سعيد ابن منصور ، وابن المنذر والبيهقى فى سننه عن عاصم الأحوال قال كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت هكذا وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله قال الله

تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ [النور : ٦٠] هو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أى شيئًا بعد ذلك فنقول: وأن يستعففن خير لهن. فتقول : هو إثبات الحجاب، وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ .

قال الشيخ السندي : « نهاهن جل وعلا عن ضرب الأرجل على الأرض بشدة لئلا يسمع صوت الخلاخل التى فى أرجلهن حرصًا على شرفهن وسدًا للذرائع ومنعًا لوقوع الفاحشة فهذا غاية فى الصون والحفظ، فإذا كان صوت الخلاخل ممنوعًا بهذا النص الكريم، فكيف يجوز للمسلم أن يقول: إن الوجه والكفين ليستا من العورة والزينة، ويجوز كشفهما أمام الأجانب، اعتمادًا على تلك الروايات الضعيفة المنكرة، والتى لم تصح أسانيدها. إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .



الرد على من أباح للمرأة أن تكشف وجهها

هذا والأحاديث عن رسول الله ﷺ كثيرة في حجاب المرأة ، ووجوب تغطية المرأة بدنها بما فيه الوجه ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « **لا تنقب المحرمة ولا ترتدى القفازين** » رواه البخارى. قال ابن تيمية: وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتى لم يحرمن وذلك يقتضى ستر وجوههن وأيديهن.

قال ابن القيم في تهذيب *السنن*: وأما نهيه ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما « **المرأة تتنقب ولا تلبس القفازين** » فهو دليل على أن وجه المرأة كبدن الرجل لا كرأسه فيحرم عليها فيه ما وضع وفصل على ستر الوجه كالنقاب والبرقع ، ولا يحرم عليها ستره بالمقذمة والجلباب ونحوهما ، وهذا أصح القولين.

فإن النبي ﷺ سوى بين وجهها ويديها ومنعها من القفازين والنقاب، ومعلوم أنه لا يحرم عليها ستر يديها وإنهما كبدن المحرم يحرم سترهما بالمفصل على قدرهما وهما القفازان .

فهكذا الوجه إنما يحرم ستره بالنقاب ونحوه. وليس عن

النبى ﷺ حرف واحد فى وجوب كشف المرأة وجهها عند الإحرام إلا النهى عن النقاب وهو كالنهى عن القفازين فنسبة النقاب إلى الوجه كنسبة القفازين إلى اليد سواء، وهذا واضح بحمد الله وقد ثبت عن أسماء أنها كانت تغطى وجهها وهى محرمة ،وقالت عائشة رضي الله عنها كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا أسدلت كل واحدة بجلبابها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه. ذكره أبو داود .

وقال ابن القيم في اعلام الموقعين : ومن ذلك أن النبى ﷺ قال : « **لا تتنقب المرأة ولا تلبس القفازين** » تعين فى الإحرام، فسوى بين يديها ووجهها فى النهى عما صنع على قدر العضو، ولم يمنعها من تغطية وجهها ولاأمرها بكشف البته. ونساؤه ﷺ أعلم الأمة بهذه المسألة، فقد كنَّ يسدلن على وجوههن إذا حاذاهن الركبان، فإذا جاوزهن كشفن وجوههن أهـ .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها **:** « رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد » متفق عليه ، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: « كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم ، وكان رجل أعمى، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبى ﷺ : «**احتجبا منه**»، فقلنا: يا رسول

الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال النبى ﷺ : «**أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه** » .

وبوب عليه الترمذي بقوله : « باب ما جاء فى احتجاب النساء من الرجال وقال هذا حديث حسن صحيح، وكما ترى هنا الحجاب ليس خاص بأمهات المؤمنين بل هو حكم عام لجميع النساء وهذا ما فهمه الترمذى من الحديث .

وكما نهى النبى ﷺ فاطمة بنت قيس عن الاعتداد عند أم شريك. قال: «**فإن أم شريك كثيرة الضيفان، فإنى أكره أن يسقط منك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك ما تكرهين** » . وأذن لها فى الاعتداد عند ابن أم مكتوم الأعمى ، وقال لها: «**فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك**» . وذلك يقتضى ستر وجهها عن الرجال الأجانب.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن فى الفطر والأضحى ، العواتق والحيَّض ، وذوات الخدور ، فأما الحيَّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين قلت : يَا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: « **لتلبسها أختها من جلبابها** » . رواه أحمد والشيخان.

والجلباب يغطى الرأس والوجه وارتداؤه هو الأصل، وإن

النساء كن لا يخرجن إلا متجلببات لا يبدو منهن شئ، ويقول النبى ﷺ: « **المرأة عورة** » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب، ولم يستثنى النبى ﷺ شيئًا من المرأة، وقال ابن تيمية : قال أحمد - رحمه الله - كل شيء منها عورة حتى ظفرها. قال: وهو قول مالك .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها : فكيف يصنع النساء بذيولهن؟، قال : « **يرخين شبرًا** » ، فقالت: إذن ينكشف أقدامهن ، قال: « **فيريخهن ذراعًا، ولا يزدن عليه** » .

فإذا كان الأمر هكذا فى القدمين، وهما من العورة ، فكيف بما فوقهما من سائر أجزاء البدن ، ولا سيما الوجه الذى هو جميع محاسن المرأة وأعظم ما يفتتن به الرجال ؟!! .

فإذا وجب على المرأة ستر قدمها فستر وجهها من باب أولى، فيجوز للرجل أن ينظر إلى الوجه والكفين فقط من المرأة إذا أراد خطبتها على قول جمهور العلماء ، وفى ذلك يقول النبى ﷺ: « **إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها، إذا كان ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم** » رواه أحمد، وقصد

الدلالة من الحديث على وجوب الحجاب إنه نفى الإثم عن الخاطب خاصة إذا كان نظره للخطبة ، فدل على أن غير الخاطب آثم بالنظر، وكذلك هو إذا كان نظره لغير الخطبة. والمرأة قد تعرف من خلال حجم عظامها، وقد يهب ريح فتتكشف إلى غير ذلك.

فيجب على الرجل أن يغض بصره حتى وإن كانت المرأة مجلببة، وكان عمر يعرف سودة ﵂ من خلال عظامها، وهى مجلببة، وتروى السيدة أم سلمة ﵂، وتقول: لما انقضت عدتى من أبى سلمة أتانى رسول الله ﷺ فكلمنى وبينى وبينه حجاب، فخطب إليّ نفسى .

وتجلببت صفية ﵂ عن النبي ﷺ لما طلقها ، وقبل أن يراجعها، ولما اصطفى النبي ﷺ السيدة صفية بعد غزوة خيبر فسترها وحملها وراءه ، وجعل ردائه على ظهرها ووجهها ، ثم شده من تحت رجلها، وتحمل بها وجعلها بمنزلة نسائه، كما أخرجه الشيخان ،.

والذي يتحصل لنا من مجموع ذلك : أن الحجاب الشرعى الأولى حجاب الأشخاص فى البيوت بالجدر والخدر ، ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ**

من وراء حجاب ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾

قال محمد ابن سيرين : ثبت أنه قيل لسودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ مالك لا تحجين ولا تعتمرين ، كما يفعل أخواتك ؟ فقالت قد حججت واعتمرت، وأمرنى الله تعالى أن أقر فى بيتى، فوالله لا أخرج من بيتى حتى أموت . قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها .

ويستثنى من ذلك الخروج لحاجة مع التأدب بالآداب الشرعية لقول النبى ﷺ : « **أذن لكن فى الخروج لحاجتكن**» [رواه البخارى] .

كما فى الخروج للصلاة والتطبب، وسؤال أهل العلم ، وهذه هى الدرجة الثانية أن تخرج المرأة مستورة لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وينبغى عليها إذا خرجت أن تأخذ حواف الطريق، ولا تختلط بالرجال، وتغض بصرها ، وتستأذن وليها أو زوجها فى خروجها.

وقد اتفقت مذاهب الفقهاء وجمهور الأئمة على أنه لا

يجوز للنساء الشواب[١] كشف الوجوه والأكف بين الأجانب، ويستثنى منه العجائز لقوله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، والضرورات مستثناة من الجميع بالإجماع وقد نقل ابن رسلان اتفاق المسلمين على وجوب ستر الوجه عند الفتنة، وكثرة الفساق، ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم فلا يبقى بعد ذلك إلا أن ينزل على أمر الله وأن يقول سمعنا وأطعنا، وأن نعين العباد على طاعة الله حتى وإن كان الأمر مستحبًا فضلاً عن أن يكون واجبًا، ولا يلتفت إلى الأقوال الساقطة التى خالفت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخالفت أيضاً ما ذهب إليه الأئمة المعتبرين .

وكل خير فى اتباع من سلف
وكل شر فى ابتداع من خلف

كتبه
سعيد عبد العظيم
يغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

(١) **الشواب**: الشابات.